

تفسير وتدبر
سُورَةُ الْبُرُوجِ



محمد بن علي بن جميل المطري

تفسير وتدبر

سورة البروج

قال ابن القيم: "سورة البروج كتاب مستقل
في أصول الدين تكفي من فهمها"

تأليف

محمد بن علي بن جميل المطري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هُداياه، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، فقد أخبرنا الله أنه أنزل القرآن المبارك لتدبر آياته، وليتذكر بها أصحاب العقول ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)).



تفسير وتدبر سورة البروج

وقد يسر الله القرآن للذكر، فينتفع به كلُّ من يتلوه ويتدبره، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، فيجد كلُّ من يتدبر القرآن من الهدايات ما يناسب حاله، ويُذكره بما ينفعه في أموره الخاصة والعامة، ففي القرآن العظيم هداياتٌ للعلماء والعامة، والرؤساء والوزراء، والقادة والزعماء، والأغنياء والفقراء، والتجار والعمال، والأصحاء والمرضى، والرجال والنساء، فيه هداياتٌ للمتصرين والمنهزمين، فيه هدايات للمستضعفين والمظلومين، فيه بيان أسباب النصر والتمكين، فيه هدايات لجميع الناس في كل زمان ومكان، فيه ذكر أصول الإيمان وتصحيح العقائد، فيه الأمر بتوحيد الله سبحانه والإخلاص له، والنهي عن الشرك به، فيه تزكية النفوس، وتهذيب الأخلاق، والأمر بمكارم الأخلاق، والنهي عن سيئها، فيه الحث على عبادة الله وذكره ودعائه، فيه أفضل الدعوات، فيه



تفسير وتدبر سورة البروج

بيان الأحكام التي شرعها الله لمصالح العباد، فيه الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، المبيِّن بسنته ما أنزل الله عليه في كتابه، فيه بيان الحق في كل ما يختلف الناس فيه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، وقال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

في هذا القرآن كل ما نحتاج إلى بيانه، كما قال الله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]



تفسير وتدبر سورة البروج

أي: يهدي الناس للخصلة التي هي أحسن الخصال في جميع الأمور، وفي كل الأحوال، فهو كلام الله الذي جعله نورًا وهداية للناس في كل زمان ومكان، يخرجهم به من الظلمات إلى النور، ويهديهم به إلى الحق المبين في جميع أمورهم الدينية والدينية، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكل ما يحتاج الناس إليه بيّنه الله في كتابه العظيم نصًّا أو دلالة أو استنباطًا، علمه من علمه، وجهله من جهله.

وهذا تفسير وتدبرٌ لسورة البروج، ومدارسةٌ لبعض ما فيها من علم وهدايات، قال ابن القيم عن سورة البروج: "هذه السورة كتاب مستقل في أصول الدين تكفي من فهمها"^(١).

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٩٨).



التفسير والتدبر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: أبتدئ قراءتي باسم الله. والله هو المعبود الحق دون ما سواه، وهو الاسم الأعظم عند كثير من العلماء، وقيل: الاسم الأعظم جميع أسماء الله الحسنى، فكلها عظيمة، وقيل: الاسم الأعظم الحي القيوم، وقيل غير ذلك، والأصح هو القول الأول، ونُسب إلى أكثر العلماء، وإلى المحققين^(١)، ويدل على ذلك أنه متضمن كل اسم من أسماء الله، وجميع الأسماء الحسنى تابعة له، مضافة إليه، ولا يضاف اسم الله إليها، وهو أخص أسماء الرب سبحانه، فلا يسمى به غير الخالق تبارك اسمه، والله أعلم.

(١) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص: ٢٤، ٢٥)، التوحيد لابن منده (٢١/٢)، أحكام القرآن لابن عربي (٣٤٣/٢)، الروض الأنف للسهيلى (٢٠٢/١ - ٢٠٧)، التفسير الكبير للرازي (١١١/١)، تجريد التوحيد المفيد للمقريزي (ص: ١٣)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (٢٢٤/١١، ٢٢٥)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (١٧/١)، السراج المنير للشربيني (٦/١)، درر الفوائد المستحسنة لابن عبد الحق (١٤١/١)، روح البيان لإسماعيل حقي (٢٨٤/٣)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٣٥/١)، روح المعاني للآلوسي (١١٥/٥).



تفسير وتدبر سورة البروج

والرحمن الرحيم اسمان من أسماء الله الحسنى، الرحمن بمعنى: صاحب الرحمة الواسعة، والرحيم بمعنى: صاحب الرحمة الواصلة إلى عباده المؤمنين.

وفي هذه السورة عشرة أسماء من الأسماء الحسنى:

الله الرحمن الرحيم العزيز الحميد الشهيد الغفور الودود
المجيد المحيط.

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾ السَّمَاءُ بِنَاءٍ مَحْكَمٍ، وَلَيْسَتْ
السَّمَاءُ فِضَاءً، بَلِ الْفِضَاءُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْبُرُوجُ هِيَ
النُّجُومُ؛ لِأَنَّهَا تَبْرِّجُ أَي: تَظْهَرُ، وَالنُّجُومُ هِيَ الْكَوَاكِبُ^(١)،

(١) لا فرق عند المفسرين وعلماء اللغة العربية بين النجوم والكواكب، فالنجوم هي نفس الكواكب، قال الله تعالى: {وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التكوير: ٢]، وقال سبحانه: {وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ} [الانفطار: ٢]، قال الزبيدي في تاج العروس شرح القاموس (٤/ ١٥٧): "في الصحاح والمحكم: الكوكب: النجم، ... كل منهما يُطلق على الآخر"، ويُفَرِّقُ علماء الفلك بين النجوم والكواكب بأن النجم جسم غازي مضيء فيه حرارة، والكوكب جسم معتم ليس فيه ضوء ولا حرارة بذاته، وإنما يستمد الضوء والحرارة من غيره، ولا مشاحة في الاصطلاح إذا لم نفسر القرآن بناء على هذا التفريق الحادث الذي لا يُعرف في اللغة العربية. ولي مقالاً بعنوان: التنبيه على عدم الفرق بين الكواكب والنجوم في لغة القرآن، منشور في شبكة الألوكة.



تفسير وتدبر سورة البروج

ومعنى الآية: أُقْسِمُ بِالسَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا النُّجُومُ الْعَظِيمَةُ
الْمُنْتَظِمَةُ فِي سِيرِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي
السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: ٦١].
﴿وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾ أَي: وَأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي وَعَدْتُ
عِبَادِي أَنْ أُبْعَثَهُمْ فِيهِ؛ لِأَحَاسِبُهُمْ وَأَجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ قَالَ أَكْثَرُ الْمَفْسِّرِينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ:
الشَّاهِدُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَهُوَ تَفْسِيرٌ
صَحِيحٌ عَلَى وَجْهِ التَّمَثِيلِ، لِأَعْلَى وَجْهِ التَّخْصِيصِ، وَظَاهِرُ
الْآيَةِ عَمُومُ الْقِسْمِ بِكُلِّ شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ، أَي: مَبْصِرٍ وَمَبْصُرٍ،
وَشَاهِدٍ عَلَى غَيْرِهِ وَمَشْهُودٍ عَلَيْهِ بِحَقِّ، وَحَاضِرٍ وَمَحْضُورٍ،
فَمَعْنَى الْآيَةِ: وَأُقْسِمُ بِكُلِّ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ رَائِي وَمَرْتِي،
وَبِكُلِّ شَاهِدٍ يَشْهَدُ عَلَى غَيْرِهِ كَيَوْمِ الْجُمُعَةِ يَشْهَدُ بِأَعْمَالِ
النَّاسِ فِيهِ، وَكَالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَشْهَدُ عَلَى
أُمَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأُقْسِمُ بِكُلِّ مَشْهُودٍ عَلَيْهِ بِحَقِّ، وَبِكُلِّ زَمَانٍ
أَوْ مَكَانٍ مَشْهُودٍ يَحْضُرُهُ النَّاسُ وَيَشْهَدُونَهُ كَيَوْمِ عَرَفَةَ الَّذِي



تفسير وتدبر سورة البروج

يجتمع فيه الحُجَّاج من كل فج عميق وتشهده أيضاً الملائكة،
وكيوم القيامة يحضره جميع الخلق، والله أعلم بكتابه^(١).

﴿قَتِلْ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ ﴿٩﴾﴾ أي: لعن الكفرة الذين حفروا في
الأرض شقاً عظيماً مستطيلاً كالخندق، وحرَّقوا فيه المؤمنين
والمؤمنات. وقد ذكر المفسرون والمؤرخون أن هذه قصة
وقعت قبل بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام في نجران،
وهي أن ملكاً كافرًا في اليمن خدَّ أخدودًا للمسلمين الذي
كانوا على شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام، فخيرهم بين
الكفر أو الإحراق بالنار، فحرَّق من لم يكفر منهم في
الأخدود^(٢).

- (١) يُنظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (ص: ٨٩)، التحرير والتنوير لابن
عاشور (٣٠ / ٢٣٨)، تفسير السعدي (ص: ٩١٨).
- (٢) اختلف المفسرون في جواب القسم، فقيل: الجواب قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، وقيل: ﴿قَتِلْ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ﴾ [البروج:
٤]، وقيل: الجواب محذوف تقديره: لُتْبَعْتُنَّ، وقال ابن القيم في كتابه التبيان
في أقسام القرآن (ص: ٩١): "الأحسن أن يكون هذا القسم مستغنياً عن
الجواب؛ لأن القصة للتنبية على المقسم به، وأنه من آيات الرب العظيمة".
ويُنظر: التفسير المحرر (٤٣ / ١٦، ١٧).



تفسير وتدبر سورة البروج

﴿التَّارِذَاتِ الْوُفُودِ﴾ أي: النارِ ذاتِ الحطبِ الكثيرِ الذي كان في الأخدود مشتعلًا^(١).

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ أي: لعن الكفار حين كانوا قاعدين بالقرب من الأخدود، ينظرون إلى المؤمنين وهم يحترقون ويتألمون ويصرخون، ولا يرحمونهم، ولا يغيثونهم.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أي: وأولئك الكفار حضور عند الأخدود الذي يحرقون فيه المؤمنين الذين لم يرجعوا عن دينهم، ويشاهدون احتراقهم في النار، فلا يرحمونهم، ولا يرفقون لصغيرٍ ولا كبيرٍ ولا امرأةٍ.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: وما عاب الكفار على المؤمنين والمؤمنات شيئًا إلا أنهم

(١) قال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية (ص: ٣٠٠): "الْوُفُودُ بِضَمِّ الوَاوِ اشتعال النَّارِ، والْوُقُودُ بِالْفَتْحِ مَا يُوقَدُ بِهِ"، وهكذا الفرق بين الوُضوءِ والْوُضُوءِ، والطُّهُورِ والطَّهُّورِ، والسُّحُورِ والسَّحُورِ، فالأول اسم للفعل أي: التوضؤ والتطهر والتسحر، والثاني: الماء الذي يستعمله المتوضئ والمتطهر، والطعام الذي يأكله من يريد الصيام قبل الفجر. يُنظر: مختار الصحاح للرازي (ص: ١٩٣)، المصباح المنير للفيومي (٢/ ٦٢٢).



تفسير وتدبر سورة البروج

يداومون على الإيمان بالله القوي في انتقامه، القاهر لأعدائه،
المحمود في صفاته وشرعه وقدره، ومن آمن بالله فحقه
الإكرام لا الإهانة، ولكن الكافرين والمنافقين يرون الحق
باطلاً، والباطل حقاً، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، ﴿وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ *
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١١ - ١٣].

وفي ختم هذه الآية بهذين الاسمين: العزيز الحميد إشارة
إلى أن الله لو شاء لنصر أولئك المؤمنين المستضعفين، ولو
شاء لأهلك الظالمين قبل أن يحرقوهم، وأن الله حميد في
جميع أفعاله، وما يُقدِّره على عباده، والمعتبر عنده عواقب
الأموار، وأن الله وإن أمهل الظالمين لا يهملهم، وليس غافلاً
عن أعمالهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ
الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَن
عُقِبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].



﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: الله الذي له سلطان السماوات السبع والأرض وما فيهن من الخلق، فهو المتصرف وحده في عباده كيف يشاء، ومن ذلك أنه يؤتي الملك من يشاء من الكفار أو المؤمنين ابتلاء للعباد؛ لينظر كيف يعملون، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقال جل شأنه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وقال سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال سبحانه عن بعض الملوك الكفرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقال عن بعض الملوك البررة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٣]، و﴿وَعَدَ اللَّهُ الصَّالِحِينَ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [٨٤]



تفسير وتدبر سورة البروج

[النور: ٥٥]، وقال سبحانه عن المؤمنين: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، وقال عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصَرُوا لِلَّهِ تَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٧].

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: والله على كل شيء من أفعال عباده وأقوالهم مطلعٌ ببصره وسمعه وعلمه، فلا يخفى عليه إحراق الكافرين للمؤمنين في الأخدود، وسيجازيهم على أعمالهم.

والشاهد من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الحاضر الذي يشاهد كل شيء، فلا يغيب بسمعه وبصره وعلمه، فهو مطلع على كل شيء، وهو أيضًا الذي يشهد بالحق سبحانه، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].



تفسير وتدبر سورة البروج

وفي هذه القصة عبرة عظيمة، وهي: أن الله سبحانه قد يسلط الكافرين على المؤمنين، وهو أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وقد تسلط بعض الكفرة على بعض الأنبياء فقتلوهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢]، فالدنيا دار ابتلاء، والله يتلي عباده المؤمنين بما شاء، ويتخذ منهم شهداء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا كَفَرُوا فَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [١٠] أي: إن الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم بالنار ليصدوهم عن دينهم ثم لم يتب أولئك الكفار مما فعلوا بالمؤمنين والمؤمنات فلهم عذابان لا عذابٌ واحد: لهم عذابٌ جهنم يوم القيامة، ولهم عذابٌ الحريق بعد موتهم في قبورهم.

وهذه الآية وإن نزلت في قصة أصحاب الأخدود فهي عامة لكل من يفتن المؤمنين والمؤمنات بالعذاب أو السجن وغير



تفسير وتدبر سورة البروج

ذلك ليصد الناس عن دين الله، فيدخل في ذلك كفار قريش، وكل من يفتن المؤمنين والمؤمنات بأي فتنة وعذاب^(١).

وفي هذه الآية بيان سعة رحمة الله، وأنه يحب العفو عن المذنبين، ويقبل التوبة عن عباده ولو كانوا كافرين ومجرمين وظالمين.

وهذه الآية تدل على إثبات عذاب القبر، فعذابُ جهنم في الآخرة، وعذابُ الحريق في البرزخ، فالأصل الفرق بين العذابين المذكورين، وبدأ في الآية بعذاب جهنم لأنه أشدُّ وأبقى، وقد أشار إلى هذا ابن عاشور في تفسيره^(٢).

(١) قال الرازي في التفسير الكبير (٣١ / ١١٢): "يحتمل أن يكون المراد منه أصحاب الأخدود فقط، ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك، وهذا أولى؛ لأن اللفظ عام، والحكم عام، فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل".

(٢) التحرير والتنوير (٣٠ / ٢٤٧).



والآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر ونعيمه كثيرة^(١)،

منها:

١- قال الله تعالى عن قوم نوح عليه الصلاة والسلام:
﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] أي: فسبب
خطيئاتهم أغرقهم الله فأدخلوا مباشرة نارًا يُعذبون فيها
في البرزخ، ولم يقل: ﴿ثم أُدْخِلُوا نَارًا﴾، بل قال:
﴿فأُدْخِلُوا﴾، والفاء في اللغة العربية تدل على التعقيب
المباشر، وليس على التراخي.

٢- قوله تعالى عن عاد: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا
فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩] قال المفسرون:
أي: إنا بعثنا على عاد حين أصروا على الكفر ريحًا
باردة شديدة الهبوب والصرير في يوم شؤم وشر على

(١) يُنظر رسالتي: ١٢ دليلاً من القرآن الكريم على إثبات عذاب القبر ونعيمه، منشورة في شبكة الألوكة، ثم جمعت أدلة أخرى، وأوصلتها إلى ٢٠ دليل من القرآن الكريم، تجدها في كتابي: خمس رسائل قرآنية، وهو كتاب منشور - بحمد الله - في عدة مواقع في الإنترنت، منها: مكتبة القرآن أونلاين.



عاد، استمر بهم عذاب ذلك اليوم في الدنيا واتصل
بعذاب البرزخ وجهنم في الآخرة^(١).

٣- قال الله عز وجل عن آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فأتباع فرعون غرقوا معه في البحر، وقد أخبرنا الله أنهم يُعذبون في حياة البرزخ كل يوم أول النهار وآخره وقد فنت أجسامهم، ثم يوم القيامة يبعثهم الله ويعيدهم كما كانوا بأبدانهم وأرواحهم، فيدخلون أشد العذاب في نار جهنم.

٤- قال الله سبحانه عن قوم لوط: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، فعندما جعل الله عالي قري قوم لوط سافلها لا شك أن أهلها ماتوا حين خسف الله بهم الأرض، وقد أخبرنا الله أنه أمطر عليهم حجارة من سجيل زيادة في عذابهم بعد خسفهم، ولم يكن

(١) يُنظر: تفسير ابن جرير (٢٢/ ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥)، تفسير القرطبي (١٧/ ١٣٥)، تفسير ابن كثير (٧/ ٤٧٩)، روح المعاني للأوسى (١٤/ ٨٤)، تفسير ابن عثيمين - سورة القمر (ص: ٢٧٥).



تفسير وتدبر سورة البروج

ذلك المطر من الحجارة ينزل عبثًا على أجساد ميتة تمزقت وصارت تحت الأرض بعد الخسف، بل عذبهم الله بتلك الحجارة بعد موتهم وإن كانت أجسامهم ممزقة ومبعثرة، فقد كانت الحجارة ﴿مسومة﴾ أي: مُعلَّمة تصيهم أينما كانوا بقدرته كما قال سبحانه: ﴿مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣].

٥- قال الله عن قوم لوط: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ٣٨]، قال المفسرون: أي: ولقد صبح قوم لوط أول النهار عذاب ثابت لا ينقطع عنهم، فخسف الله بهم، وأمطر عليهم حجارة، وبعد هلاكهم استقر عذابهم في البرزخ إلى أن يدخلوا في الآخرة نار جهنم. قال ابن عطية في تفسيره: "قوله: ﴿مستقر﴾ في صفة العذاب؛ لأنه لم يكشف عنهم كاشف، بل اتصل ذلك بموتهم، وهم مدة موتهم تحت الأرض معدَّبون بانتظار جهنم، ثم يتصل ذلك بعذاب النار، فهو أمر متصل مستقر"^(١).

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٢١٩).



٦- قال تبارك وتعالى عن الكافرين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّىٰ
الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١]، ففي هذه الآية يخبرنا الله أن
الملائكة تضرب وجوه الكافرين وأدبارهم تعذيباً لهم
واحتقاراً لهم عند قبض أرواحهم، وتقول لهم حين تقبض
أرواحهم: ذوقوا عذاب الحريق، وهذا في البرزخ قبل الآخرة.
٧- قال الله تعالى بعد أن ذكر قتل الكفار في غزوة بدر:
﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَٰلِكُمْ
فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ [الأنفال: ١٣، ١٤]، ففي
مخاطبة الملائكة للكافرين بهذا التوبيخ بعد قتلهم دلالة على
عذاب القبر، فهو غير عذاب النار الذي توعدهم الله به في آخر
الآية^(١).

(١) يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٠٥).



٨- قال الله تعالى مخبراً عن حال المنافقين عند موتهم:
﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾
[محمد: ٢٧].

٩- قال الله سبحانه عن المنافقين: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، قال المفسرون: العذاب الأول في الدنيا، والعذاب الثاني في القبور، ثم يردون في الآخرة إلى عذاب عظيم وهو عذاب جهنم.

١٠- قال الله سبحانه عن الظالمين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ففي هذه الآية أنَّ الظالمين في سكرات الموت تقبض الملائكة أرواحهم وتضربهم، قال المفسرون: معنى: ﴿باسطوا أيديهم﴾ أي: بالضرب والعذاب، وهذا العذاب في البرزخ وليس في الآخرة، وتقول لهم ملائكة الموت: اليوم



تجزون عذاب الهون، وهذا دليل واضح على إثبات عذاب القبر.

١١ - قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ * فَنَزَلُ مِنَ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٩٤]، في هذه الآية إثبات نعيم القبر وعذابه، فالفاء تدل على التعقيب المباشر بعد قبض الروح، فالمؤمن الذي هو من المقربين يكون له مباشرة بعد قبض روحه راحةٌ وريحانٌ وجنة نعيم، والمكذب الضال يكون له مباشرة بعد قبض روحه عذاب الحميم، ويصلى نارًا في البرزخ قبل يوم القيامة.

١٢ - قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، هذه الآية تثبت النعيم في البرزخ للشهداء، وأخبرنا الله أننا لا نشعر



تفسير وتدبر سورة البروج

بنعيمهم حين نراهم قتلى، وقد تكون أجسادهم ممزقة، وقد تأكل أجسادهم السباع، وتفنى أبدانهم في الأرض، ومع ذلك أثبت الله لهم نعيم القبر، وأخبرنا أن لهم حياة غير حياتهم في الدنيا وإن كنا لا نشعر بنعيمهم، وكذلك من يعذبهم الله في البرزخ لا نشعر بعذابهم.

١٣ - قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ * لِيَدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿[الحج: ٥٨، ٥٩]، هاتان الآيتان تثبتان أن من قُتل في سبيل الله أو مات من أهل الإيمان من غير قتل فالله يرزقه في البرزخ رزقًا حسنًا، ويدخله في الآخرة مدخلًا يرضاه ولا يريد سواه وهو الجنة، فقد ذكر الله في هاتين الآيتين نعيم البرزخ ونعيم الجنة، وذكر أن هذا النعيم لا يكون للشهداء فقط الذين يُقتلون في سبيل الله، بل يكون هذا النعيم أيضًا لمن مات في سبيل الله وإن لم يكن من الشهداء.

١٤ - قال الله عن المؤمن المذكور في سورة يس الذي قتله قومه فأدخل الله روحه الجنة: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾



تفسير وتدبر سورة البروج

قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿١٥﴾
[يس: ٢٦، ٢٧]، قال القرطبي: "الظاهر من الآية أنه لما قُتل قيل له: ادخل الجنة. قال قتادة: أدخله الله الجنة، وهو فيها حي يرزق" (١).

١٥ - قال الله تعالى: ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ١ - ٤]، قال الإمام ابن جرير في تفسيره: "قوله: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر: ٢] يعني: حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها؛ وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر؛ لأن الله أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر أنهم سيعلمون ما يلقون إذا هم زاروا القبور وعيداً منه لهم وتهديداً" (٢).

١٦ - قال الله سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال الصحابي الجليل البراء بن عازب رضي الله عنهما: (نزلت في عذاب القبر، إذا أتاه الملكان في القبر فقالا له: من ربك؟ فقال: ربي

(١) تفسير القرطبي (٢٠ / ١٥).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٦٠٠ / ٢٤).



تفسير وتدبر سورة البروج

الله، فقالا له: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام، فقالا له: من نبيك؟ قال: نبيي محمد صلى الله عليه وسلم^(١).

١٧ - قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، قال كثير من المفسرين: المعيشة الضنكا هي العذاب في القبر، ولا شك أن المعيشة الضنكا تشمل ذلك كما لا يخفى^(٢).

١٨ - قال الله متوعداً الملحدين: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولم يقل: سوف، فدل على أن عذابهم قريب بعد موتهم في البرزخ، فالسين تدل على قرب الزمن دون سوف، وعدم تعيين وقت جزائهم يدل على أنهم سيعذبون في الدنيا والبرزخ والآخرة^(٣).

- (١) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٧٦٨) والبخاري (١٣٦٩) ومسلم (٢٨٧١)، والترمذي (٣١٢٠)، وفي بعض الروايات رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه ابن جرير الطبري بعدة أسانيد مرفوعاً وموقوفاً (٦٥٨ / ١٣).
- (٢) يُنظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٣ / ١٨٠)، الجواب الكافي لابن القيم (ص: ١٢٠).
- (٣) يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (١٧٧/٨)، معارج التفكير لعبد الرحمن حبنكة (٥٧/٥).



تفسير وتدبر سورة البروج

١٩- قال الله تبارك وتعالى عن أبي لهب: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]، ولم يقل: سوف، فدل على أن عذابه قريب بعد موته مباشرة، فالسين تدل على قرب الزمن.

٢٠- قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٧]، قال المفسرون: أي: للظالمين عذاب آخر غير عذاب جهنم وهو العذاب الذي يصيبهم في الدنيا وفي البرزخ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك، ومن جملة الظالمين المكذبون بعذاب القبر، فهم لا يعلمون ذلك لجهلهم، ولا يؤمنون به، وهو حق^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: إن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة لهم بساتين تجري الأنهار من تحت أشجارها وقصورها.

(١) يُنظر: تفسير ابن جرير (٢١ / ٦٠٤)، وروى ابن جرير في تفسيره (٢١ / ٦٠٣) عن الصحابييين الجليلين عبد الله بن عباس والبراء بن عازب رضي الله عنهما أنهما قالا في تفسير هذه الآية: "﴿عذابا دون ذلك﴾ هو عذاب القبر". ويُنظر: الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي (ص: ٢٤٨)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٧ / ٤٦١).



ومن اللفظات الجميلة في بيان نعيم أهل الجنة أن الله سبحانه أخبر في بعض الآيات أن الأنهار في الجنة تجري من تحتها، كما في هذه الآية، أي: من تحت أشجارها وقصورها، وفي بعض الآيات أخبر أن الأنهار تجري من تحتهم كقوله سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فجرى الأنهار من تحتهم حين يخرج أهل الجنة للنزهة في بساتين الجنة، وإذا جلس أهل الجنة في الغرف يكونون متقابلين، كل جالس على سريره يقابل الآخر بوجهه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٨]، ويكونون في غرف عالية، وعلى سرر مرفوعة، يشاهدون حال جلوسهم ما أعطاهم الله من النعيم الكبير، قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الزمر: ٢٠]، قال المفسرون: الغرفة في اللغة كل مكان عالٍ، وقال سبحانه: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا



تفسير وتدبر سورة البروج

لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿ [الغاشية: ١٠ - ١٣] أي: أَسْرَّةٌ مرتفعةٌ عاليةٌ؛ لأجل أن يرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربه في الجنة من النعيم العظيم والمُلك الكبير، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، فأهل الجنة يجلسون أحياناً في الغرف على سرر مرفوعة، وأحياناً يجلسون في البساتين والأنهار تجري تحت أشجار الجنة، وأحياناً يتنزهون بين البساتين يأكلون ويشربون ويتحدثون والأنهار تجري من تحتهم، وأهل الجنة لا يأكلون من جوع، ولا يشربون من عطش، بل أكلهم وشربهم تليدًا، فلا يوجد في الجنة أيُّ ألم ولا تعب ولا أذى ولا منغصات، بل هي عيشة راضية، في جنة عالية.

وقد ذكر الله في هذه الآية وفي غيرها من الآيات الإيمان والعمل الصالح، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والعمل الصالح هو الخالص من الرياء، المقيد بالسنة النبوية.



تفسير وتدبر سورة البروج

والإيمان اعتقاد وقول وعمل، فالعمل الصالح من الإيمان، وإنما خصه الله بالذكر لأهميته، ومن ذلك أن الله خص من الأعمال الصالحة التواصي بالحق، وخص من التواصي بالحق التواصي بالصبر، فقال سبحانه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، فالتواصي بالصبر من التواصي بالحق، والتواصي بالحق من العمل الصالح، والعمل الصالح من الإيمان.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (١١) أي: دخول المؤمنين الجنة هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه، وإن قُتِلوا وحُرِّقُوا وَعُدُّبُوا في الدنيا الفانية فهم الفائزون في الآخرة الباقية، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧]، والذين قُتِلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَحَرَّقُوهُمْ وَعُدِّبُوهُمْ هم الخاسرون، وإن كانوا يظنون عند قتلهم أنهم المنتصرون الفائزون، فهم في نهاية الأمر الخاسرون، وسيبّطش الله بهم في الوقت الذي يريده، سواء عند موتهم، أو قبل ذلك في حياتهم، قال الله



تفسير وتدبر سورة البروج

تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ * لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٦ - ١٢٨].

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [١٢] أي: إن انتقام ربك من الكفرة والظلمة لقوي عظيم.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [١٣] أي: إن الله وحده يبدئ جميع المخلوقات من العدم ثم بعد موتها يعيدها بقدرته خلقًا جديدًا كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: ١١]، والله يعيد جميع المخلوقات يوم القيامة حتى الحيوانات والحشرات؛ ليري الناس كمال قدرته، ثم بعد ذلك يجعل الله الحيوانات والحشرات ترابًا، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ



تفسير وتدبر سورة البروج

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ
إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿الشورى: ٢٩﴾.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ ﴿١٤﴾ أي: والله هو الغفور للتائبين،
المحبُّ عباده الصالحين، ومن الذين يحبهم الله: التائبون
والمتطهرون والمتقون والصابرون والمتوكلون والمقسطون
والمحسنون، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ
وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:
١٤٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي: الله صاحب العرش، والعرش فوق
السماء مستقر على ماء، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ
عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] أي: كان ولم يزل، ويوم القيامة يحمل
عرش الله سبحانه ثمانية من الملائكة كما قال سبحانه:
﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]،
فالسماء الدنيا التي زينها الله بالنجوم تحيط بالأرض من



تفسير وتدبر سورة البروج

جميع جوانبها، والسماءُ الثانيةُ تحيطُ بالسماءِ الأولى، وهكذا تُحيطُ كلُّ سماءٍ بالسماءِ التي دونها، والكرسيُّ فوقَ السماءِ السابعة، وفوقه العرشُ العظيم، وهو مستقرُّ على ماءٍ عظيم بقدره الله، وثبت عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكَرْسِيِّ مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ الْكَرْسِيِّ وَالْمَاءِ مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) (١)، ولا نعلم كيفية الكرسيِّ ولا العرشِ، وإنما نعلم أنهما مخلوقان عظيمان، والعرشُ أعظمُ من الكرسي، بل هو أعظمُ المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

﴿الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ اسمٌ من أسماء الله الحسنى أي: الواسعُ صفات الكمال سبحانه، فهو واسع في علمه وفي بصره وفي

(١) رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٤٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٩٨٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٥١)، وإسناده حسن.



تفسير وتدبر سورة البروج

سمعه وفي رحمته وفي كرمه وفي قدرته وفي قوته وفي عزته وفي حكمته وفي عظمته وفي جميع صفاته، فكل اسم من أسماء الله سبحانه بالغُ الغاية في الكمال، فمثلاً اسم الله الحكيم له ثلاثة معان:

الأول: حكيم في خلقه وفي شرعه وفي قدره.

الثاني: حكيم بمعنى المحكم والمتقن للأشياء التي يخلقها أو يشرعها أو يقدرها، فلا خلل في خلقه، ولا في شرعه، ولا في تدبيره.

الثالث: حكيم بمعنى حاكم.

ومثال آخر: اسم الله العزيز يدل على معاني العزة كلها: عزة القوة، وعزة القدر والعظمة، وعزة القهر والغلبة، وعزة الامتناع، والعزيز الذي لا نظير له ولا مثيل.

فالله سبحانه عزيز بمعنى قوي، وعزيز بمعنى عظيم القدر لا مثيل له، وعزيز بمعنى قاهر وغالب لكل شيء، وعزيز بمعنى أنه غني بذاته، لا يحتاج إلى أحد من خلقه، ولا يبلغ



العبادُ ضرّه ولا نفعه، ويمتنع أن يناله أحد بسوء، ولا نظير له ولا مثل.

﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿٦٦﴾ ❖ أي: الله سبحانه فعّال ما يشاء، لا يمنعه مانع من فعل ما يشاء، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الشورى: ٨]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ومن ذلك أن الله قد يسلط الكافرين والظالمين على المؤمنين ابتلاءً واختباراً، ويمهل الكافرين والظالمين، ولا يعاجلهم بالعقوبة، وعلى المسلمين أن يسعوا في طلب نصر



تفسير وتدبر سورة البروج

الله بالأَسباب التي ذكرها الله في كتابه^(١)، وألا يستعجلوا عذاب الكافرين والظالمين، بل يدافعونهم بما يستطيعون، ويصبرون على أذاهم حتى يحكم الله بينهم، قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]، وقال عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قال المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أي: ولا تستعجل - يا رسولنا - للكافرين حلول عذاب الله عليهم فتدعو الله أن يعجله عليهم، فهم معذبون لا محالة في الوقت الذي قدره الله لهلاكهم.

كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ [مريم: ٨٤]، وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وقال عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾

(١) ينظر رسالتي: بيان أسباب النصر والتمكين من القرآن الكريم، منشورة في شبكة الألوكة.



تفسير وتدبر سورة البروج

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلُهُمْ قَلِيلًا ﴿١٠﴾ [المزمل]:
 ١٠، ١١]، وقال تبارك وتعالى: ﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ
 رُويْدًا﴾ [الطارق: ١٧].

وفي صحيح البخاري عن خباب بن الارت رضي الله عنه
 أن الصحابة شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
 يلقون من كفار قريش في مكة قبل الهجرة، وقالوا له: ألا
 تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فأمرهم النبي صلى الله عليه
 وسلم بالصبر، ونهاهم عن استعجال هلاك الكافرين فقال:
 ((كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيَجْعَلُ فِيهِ،
 فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ
 ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ
 عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتَمَنَّاهُ هَذَا
 الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِئُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ
 إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبَابَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)).

ويجب على المسلم ألا ينخدع بما أعطى الله الكفار
 والمنافقين والظالمين والفاستقين في الدنيا من الأموال
 والملاذ والشهوات، فالدنيا جنة الكافر، قال الله تعالى: ﴿لَا



تفسير وتدبر سورة البروج

يَغْرَنَّاكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ
 جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٦﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]، وقال
 سبحانه: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ
 * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
 يُمْتَعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٤ - ٢٠٧].

فالله يملئ لهم ويمهلهم إلى آخر آجالهم، كما قال تعالى:
 ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ *
 وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]، وقال
 سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ
 دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا
 يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

ومن رحمة الله سبحانه أنه يمهل الكافرين والظلمة عسى
 أن يتوبوا، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ
 يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ
 يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾ [الكهف: ٥٨].

ومن حكمة الله أنه يترك الكفار والطغاة في ضلالهم حيارى
 إلى أن يأتيهم العذاب في الدنيا أو يتركهم إلى آخر آجالهم



تفسير وتدبر سورة البروج

وقد استكثروا من السيئات، واستحقوا أبلغ العقوبات، فلا يصح لنا أن نسأل الله أن يعجل عذابهم قبل وقته الذي قدره الله لهلاكهم، وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١]، وقوله سبحانه: ﴿فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَنَبِينٍ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٤ - ٥٦]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ كَيْمَلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمَ يَفْلِتَهُ))، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].



تفسير وتدبر سورة البروج

فالمشروع عند الدعاء على الكفار والظلمة أن يكون الدعاء عليهم من غير توقيت ولا استعجال، والله يفعل ما يشاء، وينزل عذابه عليهم متى شاء.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ أي: هل سمعت - أيها الإنسان - خبر الجنود الذين بطش الله بهم فأهلكهم بسبب كفرهم؟

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ أي: فرعون وقومه الذين كذبوا نبيهم موسى، وبلغ من طغيانهم أنهم كانوا يُدبِّحون أبناء بني إسرائيل، وأمة ثمود الذين كذبوا نبيهم صالحًا، وعقروا الناقة التي جعلها الله لهم آية ونعمة، فأهلك الله فرعون وقومه بالغرق، وأهلك ثمود بصيحة واحدة.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ أي: بل الذين كفروا من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين عادتهم المستمرة في جميع الأزمنة التكذيب بالحق الذي تضمنه القرآن من التوحيد وإرسال الرسل والبعث يوم القيامة للحساب والجزاء، وليس للكفار دليل على ما هم عليه من الباطل، فهم لا يصدقون بالحق الذي جاء من عند الله، ويُصرون على



تفسير وتدبر سورة البروج

الباطل، ويتبعون أهواءهم وشهواتهم، ويعرضون عن كتاب الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧، ٦٨]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، ﴿بَلْ أَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ قَاطِعٌ﴾ أي: والله مطلع على أعمال الكافرين، وسيجازيهم عليها، وهو قادر على عذابهم في الدنيا والآخرة.

والمحيط من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وأحاط بكل شيء علماً.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ أي: ليس القرآن شعراً ولا سحراً ولا كلام بشرٍ كما يزعم الكافرون، بل هو قرآنٌ مجيدٌ أي: عظيم القدر في ألفاظه ومعانيه، كريمٌ كامل الصفات، واسع المعاني والهدايات، كثير العلوم والبركات، ومن تمسك بالقرآن المجيد فله المجد والرفعة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ



تفسير وتدبر سورة البروج

مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٣﴾
 [الزخرف: ٤٣، ٤٤] أي: القرآن شرفٌ للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولأمته، وسوف يسألنا الله يوم القيامة عن هذا القرآن، هل قمنا بتعلمه وتعليمه وتلاوته وتدبره واتباعه والتحاكم إليه وشكرنا الله عليه وفرحنا به أو هجرناه وقدّمنا غيره عليه؟ وفي صحيح مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ)).

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ ﴿٤٤﴾ أي: القرآن الكريم مكتوبٌ في لوحٍ في السماء، وهذا اللوح محفوظ من التغيير، ومن وصول الشياطين إليه، فالقرآن سالمٌ من الزيادة والنقص، ومن التحريف والتبديل، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٨٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ



تفسير وتدبر سورة البروج

بَرَرَةٍ ﴿عَبَسَ: ١٣ - ١٦﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فالله سبحانه حَفِظَ محل القرآن في السماء، فهو مكتوب في اللوح المحفوظ، وحَفِظَ ألفاظه من التبديل، وحَفِظَ معانيه من التحريف، ويهدي من يشاء إلى تعلمه وحفظه وفهمه بإذن الله وفضله، فيحفظون حروفه من الزيادة والنقصان، ويحفظون معانيه من التحريف والتغيير، ويحفظون السنة النبوية المبينة له، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١، ٢]، وقال عز شأنه: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ



تفسير وتدبر سورة البروج

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ [الجمعة: ٢ - ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ
لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] أي: وإن هذا
القرآن لكتاب عزيز أعزه الله وحفظه من كل تبديل وتحريف،
وممتنع عن الناس أن يقولوا مثله أو يغلبوا حججه، لا يأتي
شيءٌ من بعده يبطل شيئاً من أخباره أو أحكامه، ولا يستطيع
مبطلٌ تغيير شيءٍ من معانيه، ولا تغيير ألفاظه بزيادة فيه أو
نقص منه أو إبداله بغيره، القرآن تنزيل من عند الله الحكيم في
أقواله وأفعاله وشرعه وتدبير خلقه، المحمود على صفات
كمالهِ ونعمه الدينية والدينية على عباده.

وقد أخبر الله أن من الناس من يُلحد في آياته، ويحاول
تغيير معاني كتابه، ويتبع ما تشابه منه ابتغاء تأويله بما يوافق
هواه، ولكن الله يهدي أهل العلم للتصدي للملحدين



تفسير وتدبر سورة البروج

والزائغين، فينفون عن القرآن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

هذا، وفضل القرآن وعظمته وبركته لا نهاية لها، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، ويقول سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ*



تفسير وتدبر سورة البروج

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿المائدة: ١٥ - ١٦﴾، ويقول تبارك وتعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِّنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، فالقرآن نورٌ وهدايةٌ ورحمةٌ في الدنيا والآخرة لكل من آمن به واتبعه، فقد بين القرآن الحق للناس بوضوح في جميع الأمور، وقد أخبر الله بهذه الحقيقة في آيات كثيرة، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٢]، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩]، فأعظم مقاصد القرآن هداية الناس إلى الصراط المستقيم، وإخراجهم من ظلمات الكفر والشرك والجهل والمعاصي



تفسير وتدبر سورة البروج

والظلم، كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

فالقرآن أفضل وأعظم كتاب على الإطلاق، وهو أحق ما يُقرأ ويُستمع له ويُحفظ ويُدرس، كتاب كامل لا نقص فيه، أخباره صادقة، وأحكامه عادلة، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، أي: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام، كتابٌ قيّمٌ مستقيم، لا خطأ فيه أبدًا، لا في حروفه وألفاظه، ولا في معانيه وأحكامه، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١، ٢]، مستقيمٌ لا إفراط فيه ولا تفريط، مقيمٌ لمصالح العباد في دينهم ودنياهم، فبه قيام الأمة إن تمسكت به، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ



تفسير وتدبر سورة البروج

ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ [الأنبياء: ١٠] أي: في هذا القرآن عزكم
وشرفكم، أفلا تعقلون!؟

هذا القرآن حبل النجاة، من اعتصم به نجا، ومن تركه
هلك، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾
[آل عمران: ١٠٣]، ومن اتبع القرآن فلا خوف عليه بعد
موته، ولا يحزن على ما ترك في دنياه، ولا يضل في الدنيا، ولا
يشقى في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى
فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:
٣٨]، ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ * وَمَنْ أَعْرَضَ
عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿
[طه: ١٢٣-١٢٤].

أولو العقول يستمعون القرآن ويتبعونه، ويتدبرونه
ويهتدون به، ويتذكرون به ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، قال
الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ



تفسير وتدبر سورة البروج

أَحْسَنَهُ أَوْلِيكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأَوْلِيكَ هُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٧﴾
[الزمر: ١٧ - ١٨]، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ
وَلِيَتَذَكَّرَ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿ص: ٢٩﴾.

حين استمع القرآن نفرٌ من الجن آمنوا به في جلسة
واحدة، وشهدوا له بالعجب في فصاحته وبلاغته، وفي معانيه
وهدايته، وفي بركته وتأثير مواعظه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ
أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا
* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴿الجن: ١، ٢﴾.

لو أنزل الله القرآن على جبل ففهمه لتصدع من خشية
الله سبحانه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ
لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿الحشر: ٢١﴾.

هذا القرآن يُبَيِّنُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْحَقِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا



تفسير وتدبر سورة البروج

وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿ [النحل: ١٠٢]، ومن أراد أن يستقيم على الحق فعليه هذا القرآن العظيم، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٧، ٢٨].

فعلى المسلم أن يجتهد في تعلم القرآن الكريم تلاوة وتفسيراً، وأن يحرص على تدبره واتباعه، فالقرآن أعظم ما علم الله عباده، وتلاوة القرآن واتباعه تجارة رابحة لا خسران فيها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]، وفي صحيح البخاري من حديث عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)).

ومهما عظم المسلم القرآن الكريم فهو أعظم مما يظن، وهدايات القرآن ونوره وبركته وخيره في الدنيا والآخرة



تفسير وتدبر سورة البروج

أكثر مما يخطر ببال أحد، وكلما تلا المسلم القرآن وتدبره
وتعلمه ازداد إيماناً وعلماً وحكمة وهداية، إنه لقرآن مجيد،
كريم، عظيم، حكيم، عزيز، مبين، مبارك، ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ
وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾
[إبراهيم: ٥٢].



الحائمة

القرآن المجيد واسع المعاني، كثير الهدايات والبركات، يهدي المتدبرين له في جميع أمورهم الدينية والدنيوية، فهو هداية للأفراد والأسر، والمجتمعات والدول، وفيه كل ما يصلح الناس في عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، وفيه حل جميع مشاكلهم الخاصة والعامة، وفيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والمسلمون اليوم في أشد الضرورة لتعلم القرآن المجيد والسنة النبوية المبيّنة له، فقد كثر الجهل بالعلم الشرعي، وكثرت الخلافات، وتنوعت الفتن، وعظم الفساد، وتوالت الشدائد، وذل المسلمون، ولا مخرج للمسلمين اليوم من هذا الواقع الأليم إلا بتعلم كتاب الله وسنة رسوله، والعمل بهما بصدق وجد، ونشاط وقوة، فهما سبيل النجاة، وفيهما الهدى والنور، وفيهما عزُّ المسلمين ورفعتهُم،



تفسير وتدبر سورة البروج

فبالاعتصام بالقرآن والسنة تصلح عقائد الناس وأخلاقهم
وأعمالهم الظاهرة والباطنة، وتصلح جميع أمور المسلمين
الخاصة والعامة، الدينية والدنيوية.

